

أضواء البيان

@ 179 \$ 1 (سورة لقمان) \$ 1 .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } . قد قدّمنا الآيات الموضحة لقوله : { هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } ، في أوّل سورة (البقرة) ، في الكلام على قوله تعالى : { الم * ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } . { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَرَأَى مُمْسِكَكَ بِرَأَى كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } . ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكافر إذا تتلى عليه آيات اللّٰه ، وهي هذا القرآن العظيم : { وَلَىٰ مُمْسِكًا كَبِيرًا } ، أي : متكبرًا عن قبولها ، كأنه لم يسمعها { كَأَنَّ } في أُذُنَيْهِ وَقْرًا { ، أي : صممًا وثقلًا مانعًا له من سماعها ، ثم أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يبشّره بالعذاب الأليم . .

وقد أوضح جلّ وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { وَيَلُ لِّلْكُلِّ أَفْوَكَ } أثيريم * يَسْمَعُ آيَاتِ اللّٰهِ تُلِيَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُّ مُمْسِكًا كَبِيرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَّاءٌ كَاسِيًا وَلَا شَيْئًا وَلَا مِمَّا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ، وقد قال تعالى هنا : { كَأَنَّ } في أُذُنَيْهِ وَقْرًا { ، على سبيل التشبيه ، وصرّح في غير هذا الموضع أنه جعل في أذنيه الوقر بالفعل في قوله : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا } ، والظاهر أن الوقر المذكور على سبيل التشبيه الوقر الحسّي ؛ لأن الوقر المعنوي يشبه الوقر الحسّي والوقر المجعول على آذانهم بالفعل ، هو الوقر المعنوي المانع من سماع الحقّ فقط ، دون سماع غيره ، والعلم عند اللّٰه تعالى .